

# الحوار

مركز الحوار السوري  
Syrian Dialogue Center

## نظرات في مآلات وتحولات خطاب الغلو

إعداد: د. عماد الدين خيتي

ورقة بحثية قدمت في الندوة الحوارية " ظواهر الغلو والتطرف، آثارها ومآلاتها" وذلك في مدينة استنبول، يوم الجمعة 14 محرم 1441 هـ، الموافق ل 13 أيلول 2019 م

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،  
ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الخوارج<sup>(1)</sup> من أكثر الفرق إثارة للجدل والنقاش بين المختصين في علم الفرق خصوصًا وبين  
الناس عموماً؛ وذلك لشدة التباس أمرهم، وكثرة الانخداع بهم؛ لكون بدعتهم ظاهرها الصلاح،  
ونصح الأمة، وإعلان الجهاد في سبيل الله تعالى، وشدة تضحيتهم في سبيل مبادئهم ومعتقداتهم.  
وفي الوقت الذي تشهد فيه جماعات الغلاة هذه الأيام تراجعًا في الظهور على الساحة، وانكماشًا  
في العدد والعدة بعد اندحار تنظيم "الدولة" (داعش) عن معظم المناطق التي كان يسيطر عليها  
في العراق وسورية، وتلاشي معظم قواته، وانحصار تنظيم جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام) في  
جزء من منطقة إدلب في سورية، وتراجع مكانتها مؤخرًا، بالإضافة لتراجع جماعات الغلاة في  
عموم البلدان الإسلامية، إلا أننا نشهد تغيرات في فكر الغلاة و"تراجعات" و"تصحیحات" لبعض  
شخصياتهم، فهل هي مؤذنة بعودتهم إلى جادة الصواب؟ أم هي إرهابات لجولة جديدة؟ وهل  
خطرهم إلى زوال وانكماش؟ أم أنه إلى تطوّر وتضاعف؟

أثناء البحث في هذه المسألة كان لافتًا للنظر ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث  
تدل على التحاق آخر الخوارج بالدجال، مع ما بينهما من فروق كبيرة تكاد تصل إلى حد  
التناقض، مما وُلد العديد من الأسئلة:

- كيف سيحصل هذا الالتقاء؟
- هل يمكن اعتبار هذا التلاقي تنويجًا لتطور فكر الغلاة وتغيّره؟
- هل هناك أدلة على تضاعف خطر الغلاة والغلو الفكري والوجودي من خلال الواقع المعاصر؟
- هل يمكن وضع اليد على ملامح المنحنى الجديد الذي دخل فيه الغلو تطورًا وتغيّرًا؟
- وإن حصلت هذه التطورات: فما هي الجوانب التي سيدخلها التطور؟ وما الجوانب التي  
ستبقى عند الغلاة وجماعاتهم؟

---

(1) تراوح الورقة بين استخدام مصطلحي الخوارج والغلاة في الحديث عن الغلو وجماعاته، ومع أن بينها فرقًا على العموم من حيث إن كل خارجي مغالي، والعكس غير صحيح، فإن الورقة راعت هذا الفرق في الاستخدام والإطلاق، ورجّحت استخدام أحدهما في بعض المواضع بما يتناسب مع السياق، وحتى لا يستغرب القارئ الانتقال من مصطلح إلى آخر.

فكانت هذه الورقات للوصول لإجابات عن هذه الأسئلة والكشف عن ملامح تطور فكر الغلاة في المستقبل، والتي قدمت في ندوة متخصصة أقامها مركز الحوار السوري بعنوان "ظواهر الغلو والتطرف، آثارها ومآلاتها"<sup>(2)</sup>.

وقد جاءت هذه الورقة في أربعة عناوين:

- صورتان من التاريخ والمستقبل.
  - مشروع حركات الغلو بين التاريخ القديم والمعاصر.
  - أهم ملامح الغلو المعاصر.
  - الغلو وجماعاته إلى أين؟
- أسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه<sup>(3)</sup>،،  
والحمد لله رب العالمين

الكاتب

1441-1-13هـ

2019-9-12م

---

(2) الورقة مبنية على ما سبق بحثه في موضوعات الغلاة وجماعاتهم، وتفصيل مواقفهم وآرائهم، ومناقشتها؛ لذا فإننا لن تفصل في هذه المسائل؛ تركيزًا للفكرة، واختصارًا، فمن أراد المزيد من التوسع في المسائل المشار لها فيمكنه الرجوع لتلك البحوث والدراسات، ومنها على سبيل المثال للكاتب: - شبكات تنظيم (الدولة) وأنصاره، والرد عليها. وهو مؤلف يحوي الإجابة عن أهم الشُّبه والمغالطات الشرعية في أمور العقيدة والسياسة الشرعية التي تثيرها تنظيمات الغلاة وعلى رأسها تنظيم (الدولة).  
ولم يقتصر الكتاب على شُبه تنظيم (الدولة) فحسب، بل تضمن الإجابة عن العديد من الشبه التي يثيرها بقية الغلاة - كتنظيم "القاعدة" - مما له علاقة بموضوعات الكتاب، وقد تضمن الكتاب الإشارة إلى أهم ما صدر من بحوث ودراسات وفتاوى في المسائل المطروحة.  
- تصور الغلاة للدولة في الإسلام من جماعات (الجهاد) المصرية إلى القاعدة، والذي احتوى على أهم الأسس الفكرية والتنظيمية التي وضعتها جماعات الغلاة للوصول إلى الحكم في الدول الإسلامية، مع ملحق يبين عوامل تطور جماعات الغلاة المعاصرة.  
(3) على أن القارئ لنصوص التحذير من الخوارج والدجال يلحظ التشابه الكبير فيها من حيث: النص على الفتنين بالاسم والصفات الكاشفة عنهما، وشدة التحذير من فتنتهما، وبيان أحكام التعامل معهما، وسبيل النجاة منهما، مع الإشارة إلى وضوح الخطأ والضلال في كلٍ منهما، وشدة افتتان عامة الناس بهما على الرغم من ذلك!

## صورتان من التاريخ والمستقبل

إنَّ الناظر في النصوص الشرعية التي تتحدث عن الخوارج في بداية ظهورهم، وأهم صفاتهم وأفكارهم، وتاريخ حركاتهم وجماعاتهم، والقارئ لمستقبل وجودهم يلحظ صورتين تبدوان متعارضتين بادئ الرأي:

### الصورة الأولى:

صورة عبر الماضي تصف ما هم فيه من رغبة محمومة لنصرة الدين وإقامته، ورمي من يخالفهم بالكفر، واستحلال دمه وماله، مع عاطفة عمياء، وطيشٍ وسفه، ودأب شديد في العبادة، وحفظ للنصوص الشرعية، وترديد لها دون فهم، ثم بدايات ظهورهم، وما خاضوه من معارك شرسة ضد المسلمين، وما تسببوا به من كوارث على المجتمعات الإسلامية، ومن أهمها: عدم قبول التعاون أو التعامل مع مخالفيهم، فضلاً عن السكوت عن مخالفتهم، أو السمع والطاعة لهم، ولو كان ذلك على حساب شق صف المجتمع، وإضعاف الدول، وتراجع انتشار الإسلام، كل ذلك بدعوى البراءة من الراية العُميَّة، وإخلاص الإيمان لله وحده!

وقد نقلت كتب الفرق والتاريخ للخوارج عشرات الخطب والمقولات والأشعار التي تتميز بالاستعلاء بالمعتقد، والحماسة لنصرة الحق، والتغني بالجهاد، وجميل الأخلاق والصفات<sup>(4)</sup>، والجرأة في تحدي الخصوم<sup>(5)</sup>.

(4) لكن الشرع والواقع يشهد إن أفعال الخوارج وسلوكهم يخالف ادعاءاتهم:

فقد قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَائِسُونَ} [البقرة: 27]، قال: هم الحرورية؛ يعني الخوارج.

وكان رضي الله عنه يُقسم، ويقول: والله الذي لا إله إلا هو إنهم الحرورية.

ينظر: تفسير القرطبي (314/9).

وأما الواقع: فقد ارتكبوا من الجرائم ما يتنافى مع الشهامة والمروءة والأخلاق التي يتحلى بها عامة الناس، فضلاً عن يدعي حمل مشروع الحكم بالشرع، فقد عُرفوا في التاريخ منذ خروجهم بالغدر والخيانة، ونقض العهود، ومن الأمثلة على ذلك من القديم: حادثة ذبح عبد الله بن خباب بن الأرت وبقر بطن امرأته الحامل. أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (555/7، برقم 37896).

= وحادثة غدرهم بجيش المسلمين في القيروان؛ فقد أوهموهم بالخروج معهم لقتال بني عُبيد، وحرصوا الناس على ذلك، فلما حضر القتال قالوا لبعضهم: "إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان، حتى يتمكن أعداؤهم منهم" فوقع في أهل القيروان مقتلة عظيمة.

ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (306/5).

أما العصر الحديث فقد شهد لهم عشرات الغدرات في كل مكان خرجوا فيه، ونقض للعهود ونكوث بالوعود مما يطول المقام بذكره، تارة بادعاء أن (المرتدين) أو (الخونة) لا أمان لهم، فيسارعون إلى نقض العهود التي يبرمونهم، وتارة بسحب السلاح من الفصائل والمناطق التي يدخلونها تحت شعار حصر السلاح بالجهات المأمونة، ثم تركهم فريسة للأعداء حين اشتداد القتال والانسحاب من تلك المناطق دون حماية أو سلاح، وغير ذلك كثير.

مما يرسم صورة في الذهن عن الغلاة هي أقرب ما تكون إلى الغيرة على الدين، وعدم التهاون في إقامة شعائره، وإن كان فيها غلو.

ولعل هذا هو من أهم أسباب انخداع عامة الناس بهم، وبشعاراتهم، وهذا هو سبب ورود التحذير الشديد في الأحاديث النبوية من الانخداع بذلك، والتشديد في قتالهم قتال استئصال وإفناء مع ما قد يظهر من صلاح على محياهم، أو عاطفة صادقة -ضالة- عندهم!<sup>(6)</sup>.

### الصورة الثانية:

صورة عبر المستقبل تتحدث عن انضمامهم جنودًا ومقاتلين تحت راية أشهر من عرف بالكفر والإلحاد ومعاداة الشرع، وادعاء الألوهية، ألا وهو الدجال، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيخرجُ أناسٌ من أمتي من قِبَلِ المَشْرِقِ، يقرؤون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، كَلِّمًا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، كَلِّمًا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، -حتى عَدَّهَا زيادةً على عَشْرَةِ مَرَّاتٍ- كلما خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حتى يَخْرُجَ الدَّجَالُ فِي بَقِيَّتِهِمْ)<sup>(7)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يُنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، كَلِّمًا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ) قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كَلِّمًا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ)<sup>(8)</sup>.

مع أن الدجال واضح الكفر والضلال، مشهور المنهج، مدعٍ للألوهية، محارب للمسلمين، وهو أعظم فتنة ستأتي على البشرية كما قال صلى الله عليه وسلم: (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ)<sup>(9)</sup>.

(5) ينظر: خصائص شعر الخوارج، للدكتور: يوسف محمد توتو محمد علي، والدكتور: يوسف محمد أبكر أحمد، مجلة جيل الدراسات الادبية والفكرية الصادر عن مركز جيل العلمي، العام السادس، العدد 49 - فبراير 2019، ص (21).

وهنا يخطئ العديد من الناس كذلك بوصف جرأة الخوارج بالشجاعة، وفرق بين الوصفين، فمن الجرأة ما هو قهور، وغرور، ومنه ما هو وقاحة، والشجاعة لا تكون إلا مع جرأة وأخلاق، وأين أفعال الخوارج من الأخلاق!؟

(6) تميزت النصوص الشرعية التي تحدثت عن الخوارج بالكثرة والتفصيل الكبير في صفاتهم، ومعتقداتهم، وأحكام التعامل معهم، ولم يرد في النصوص الشرعية مثل هذا التحذير والبيان في أي فرقة أخرى من الفرق، بل ورد النص على اسمهم الذي عرفوا به بعد ذلك وهو الخوارج، ففي الحديث عن ابن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: (الْخَوَارِجُ كِلَابٌ أَهْلُ النَّارِ) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (برقم 904)، والطبراني في المعجم الكبير (270/8)، برقم 8042.

(7) رواه أحمد (349/6)، برقم 6871.

(8) رواه ابن ماجه (61/1)، برقم 174.

قال السندي في حاشيته: "في بعض النسخ (أعراضهم) وهو جمع عَرَض، يفتح فسكون، بمعنى الجيش العظيم، وهو مستعار من العَرَض بمعنى ناحية الجبل، أو بمعنى السحاب الذي يسد الأفق" (74/1).

(9) أخرجه مسلم (2266/4)، برقم 2946.

وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير الشديد منه، وذكرت صفاته التي تكشف عنه وتدل على شخصيته ليحذر منه المسلمون، كما اتفقت كلمة جميع الأنبياء على التحذير منه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ) (10).

وهاتان الصورتان لا تتناسق أخراهما مع أولاهما في السياق الفكري والعقدي، وتوقع المآلات (11). فهل من تفسير لانتقال الخوارج من النقيض للنقيض؟ بل الوصول لأسفل دركات الانحراف بالانضمام للدجال؟

وكيف يتقبَّل الخوارج الانتقال من رفض بالتعاون مع أي جماعة إسلامية أخرى بدعوى صفاء المنهج، فضلاً عن قتالها بتهمة الكفر أو الضلال، إلى الانضمام لراية مدعٍ للألوهية تحت رايته شتى صنوف المنحرفين والمبتدعة والخارجين عن الدين (12)؟!

---

وفي رواية الحاكم في المستدرک: (مَا كَانَتْ مِنْ فِتْنَةٍ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أُعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَدَّرَ قَوْمَهُ) (76/1)، برقم 64).

(10) رواه البخاري (60/9)، برقم 7131 واللفظ له، ومسلم (2248/4)، برقم 2933).

(11) ما أورده أهل العلم في شرح أحاديث التحاق الخوارج بالدجال يدور حول استمرار خروج جماعات الخوارج إلى آخر الزمان. قال السيوطي: "المُرَاد مِنْهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يَقَاتِلُونَهُمْ وَيَقْطَعُونَ دَابِرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ قَرْنٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَبْقَى مِنْهُمْ فِرْقَةٌ حَتَّى يَخْرُجَ فِي عَرَاضِهِمْ وَمَوَاجِهِتِهِمْ الدَّجَالُ"، شرح السيوطي على سنن ابن ماجه (16/1).

وقال ابن تيمية: "قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال. وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر [أي: الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه]"، مجموع الفتاوى (496/28).

(12) فقد دلت النصوص الشرعية على أن من أولى أتباع الدجال اليهود، قال صلى الله عليه وسلم: (أَكْثَرُ تَبِعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ) رواه أحمد (431/29)، برقم 17900).

كما دل استقراء حال الأمم والديانات الأخرى أن من أتباعه من كان يؤمن بغائب ذي قدرات خارقة يحكم العالم، ويكاد يكون ذلك في سائر الأمم والديانات المحرفة، بل في العديد من الفرق المنشقة عن الإسلام.

## مشروع حركات الغلوين التاريخ القديم والمعاصر

### في التاريخ القديم:

تميزت حركات الغلاة في التاريخ بعدم عمقها الفكري، وسذاجة مشروعها السياسي والعسكري، على الرغم من شدتها وإصرارها على قتال من خالفها بشراسة واستمرار.

- فقد تمثل مشروعها الفكري في تكفير المخالفين لها في عدد محدود من المسائل، كتكفير الصحابة رضي الله عنهم في مسألة التحكيم، وما ظهر بعد ذلك في مسائل تكفير مرتكب الكبيرة ونحوها، وهي مسائل لم تتبلور في مشروع فكري متكامل واضح المعالم حتى مع كثرة فرق الخوارج، وخوضهم في مسائل جديدة لم يكن عليها أسلافهم.

ولم يعرف عن الخوارج البراعة في العلم أو الفكر، حتى حكى العديد من أهل العلم عدم وقوفهم على مؤلفات خاصة بهم، بينما حكى آخرون وجود بعضها بشكل سري غير معلن، وهي إن كانت موجودة في الزمن الماضي فهي مفقودة في هذا الوقت.

قال ابن تيمية: "وأقوال الخوارج، إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نَقِفْ لهم على كتاب مُصَنَّف، كما وقفنا على كتب المعتزلة، والرافضة، والزيدية ... الخ" (13).

وقال ابن النديم: "الفن الرابع من المقالة الخامسة: في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب ويحتوي على أخبار متكلي الخوارج وأسماء كتبهم ... الرؤساء من هؤلاء القوم كر وليس جميعهم صنف الكتب، ولعل من لا نعرف له كتابًا قد صنف ولم يصل إلينا؛ لأن كتبهم مستورة محفوظة" (14).

- كما تمثل مشروعها السياسي في الخروج على الدول والحكام، والعمل على الوصول إلى الحكم بدلاً منهم، كما ظهرت لديهم مقولات في مسائل متفرقة التي لا تمثل مشروعًا سياسيًا خاصًا بهم (15).

(13) مجموع الفتاوى (49/13).

(14) الفهرست لابن النديم (277/1).

ثم ذكر أسماء بعض كتبهم، حيث ذكر منها اثنين وعشرين كتابًا، وهي تدور بين إثبات بعض أفكارهم كالكتب في التوحيد، وأحكام المؤمنين، وإثبات إمامة أبي بكر، أو في الردود على بعض الفرق ككتب الرد على المعتزلة في القدر، والرد على المرجئة، والمعتزلة، ونحو ذلك.

(15) كقول بعض فرقهم إن نصب الحاكم غير واجب إذا تناصف الناس فيما بينهم، والشروط القاسية التي وضعوها لمن يصح أن يكون حاكمًا، وعدم الالتفات إلى مسألة القرشية في الحاكم، وعدم الأخذ بمبدأ أهل الحل والعقد في تولي الحاكم.

ينظر: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، مصطفى بن محمد بن مصطفى.

حتى إنهم لما نجحوا في تأسيس عدة إمارات ودول وخاصة في بلدان المغرب العربي لم يُعرف لهم مشروع ذو معالم خاصة، بل كانت إحدى أهم سماتهم الفكرية - الخروج على الحاكم - سببًا في ترسيخ أهم خصائصهم الفكرية والسلوكية ألا وهي التفرق والخروج على بعض، وكانت من أسباب فناء دولهم وجماعاتهم على مر التاريخ<sup>(16)</sup>.

### العصر الحالي نقطة التحول التاريخي في فكروجماعات الغلاة:

شهد العصر الحالي تحولاً لم يشهده تاريخ المسلمين من قبل، والذي تمثل في إسقاط دولة الخلافة، واحتلال دول العالم الإسلامي، وتنحية الشريعة عن الحكم العام فيها لأول مرة<sup>(17)</sup>؛ مما أثر على فكر الغلاة ومشروع جماعاتهم، والذي كان له أكبر الأثر في تطور فكرهم وتغييره بعد ذلك. حيث إنهم انتقلوا إلى التسلسل في التكفير من الحكام لمن دونهم من الوزراء وكبار الموظفين، ثم سائر مؤسسات الدولة، وكل من رضي أو قبل بهذه المؤسسات أو عمل فيها، والحكم على البلاد الإسلامية أنها بلاد كفر حتى مكة والمدينة، وصولاً إلى الطعن في عموم المجتمعات الإسلامية والحكم عليها بالجاهلية وفساد دينها وعقيدتها، وبالتالي وصلوا إلى قناعة بأن المجتمع بكل ما فيه ومن فيه يحتاج لاستبدال وتغيير واقتلاع من الجذور، وأنهم الوحيدون المخولون بذلك شرعاً، كونهم الناجون من الانحراف، والثابتون على المنهج الحق<sup>(18)</sup>.

ثم مع مرور الزمن وصلت تلك الجماعات إلى التطورات التالية:

1- الانتقال من حصر مشروعهم في معارضة الدول القائمة والخروج عليها ثم تولي الحكم، إلى مشروع استبدال المجتمع وتغيير هويته ودينه، وبدء ذلك بالخروج على الأنظمة السياسية والانقلاب عليها بالقوة<sup>(19)</sup>.

---

(16) ينظر مثلاً: الخوارج في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد إسماعيل عبد الرزاق، ص (257) وما بعدها، دار الثقافة، الدار البيضاء.

و: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، د. بوزيان الدراجي، دار الكتاب العربي، الجزائر.

(17) هذه الأحداث كان لها أثر على أوضاع البلاد الإسلامية في جميع الاتجاهات:

- فالدعاة إلى الله والعاملون في سبيل نشر كلمته كانت هذه الأوضاع دافعاً لهم لمضاعفة العمل وبذل الجهد في استنهاض الهمم للعودة إلى الدين الحق، فتأسست الجماعات، والمؤسسات العاملة في هذا المجال، وانطلقت مئات البرامج والمشاريع المتنوعة لتحقيق هذا الغرض، مما أوج صحوة دينية عمّت بلدان العالم الإسلامي.

- وفي المقابل كانت هذه الأوضاع فتنة لفريق آخر رأى فيها ما يلائمه في موقفه من الدين، فركبها وأعمل في الدين نقداً وطعنًا وتسفيهاً وتشويهاً، من العلمانيين، ومن يدعي العقلنة والعصرنة ممن يريد تطويع الدين لرغباته وأهوائه، أو مذاهب الشرق أو الغرب.

(18) ينظر تفصيل هذه المسائل وأدلتهم عليها في كتاب: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، وينظر على سبيل المثال: إدارة التوحش، أبو بكر ناجي ص (21).

(19) تمثل نقطة البدء بإسقاط الأنظمة المحلية ثم العالمية، أو العكس اختلافاً بين جماعات الغلاة المعاصرة:



2- الانتقال من الاختصار على عدة مسائل في الإيمان والتكفير إلى طرح مشروع فكري متكامل يقوم على أسس غالية، تهدف إلى إيجاد مشروع فكري بديل عن كل ما هو موجود في العالم الإسلامي من الفكر والدين السائد، والانتقال عليه.

ولأجل القيام بهذين الأمرين ظهرت مفاهيم "جماعة الحق" التي نجت من انحراف المجتمع وجاهليته، وصفاتها، وكيفية إقامتها، والانضمام لها، وأعمالها.

فلم يعودوا ينظرون لأنفسهم أنهم مجرد جماعة أو حركة معارضة للحكومات القائمة، أو بضع مسائل يخالفون فيها جمهور المسلمين، بل الجماعة التي ثبتت على الحق، واستولى المنحرفون على مكانتها، وأبعدت عن حقها في الحكم والتوجيه، والتي يُنَاط بها الرجوع لمكانها الطبيعي، وريادة الناس والمجتمعات في ذلك، وأسقطوا النصوص الشرعية وكلام أهل العلم في الواردة في جماعة الحق على جماعاتهم تلك<sup>(20)</sup>.

3- ثم حصروا كافة التصرفات الشرعية بجماعاتهم من التعليم والفتوى والقضاء، والجهاد، وأبطلوا تصرف أي جماعة أو مؤسسة أخرى غير جماعاتهم مهما كان حجمها أو وجودها على الأرض، كرفض المشاريع الثورية والتحريرية كافة في العراق وسوريا وحصار الحق في إعلان الحرب أو الهدن، أو إعطاء الأمان أثناء الحروب<sup>(21)</sup>.

مما أدى إلى تكوينهم لمجتمع خاص بهم داخل المجتمع المسلم، والانعزال عنه، مع شعورهم بأنهم أصحاب الحق المسلوب، وأنهم مظلومون ومقهورون.

4- ترتب على ذلك:

- الرغبة في تنفيذ مخططاتهم الفكرية والعسكرية بأسرع وأفضل طريقة من جهة، تحت شعار "الحكمة ضالة المؤمن".

- وحماية هذا (المجتمع الخاص) في أثناء المواجهات، والحفاظ على "نقائه" من جهة أخرى.

---

فقد بدأت الجماعات نظرتها وعملياتها بالعمل ضد الأنظمة المحلية عملاً بالبدء بقتال المرتدين الأقرب حسب مفهومهم لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } [التوبة: 123].

ثم لما رأَت فشلها في ذلك أرجعته لعدة عوامل من أهمها دعم النظام الدولي لهذه الأنظمة، فغيرت سياستها إلى العمل على استهداف النظام العالمي لإسقاطه وبالتالي تسقط الأنظمة التابعة له في العالم الإسلامي.

ثم لما ظهر تنظيم الدولة (داعش) أراد البدء ببناء دولته لتكون النموذج الرشيد للدولة الإسلامية، ثم ينطلق لتحرير بقية الدول.

وهي مسألة محل أخذ ورد بينهم.

(20) ينظر: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، ص (39).

(21) المرجع السابق.

مما أدى إلى تلقف عدد من الأفكار والرؤى من جماعات ومذاهب أخرى تحت شعار "الحكمة ضالة المؤمن"، بالإضافة اتخاذ عدد من الإجراءات والأعمال تحت شعار "للضرورة أحكام". وقد تحول ذلك كله إلى ثقافة، أثرت في المعتقد والفكر، سيأتي الحديث عنها في الفقرة التالية.

## أهم ملامح الغلو المعاصر

يمكن رصد أهم ملامح التغييرات التي طرأت على مجمل حركات الغلو وأفكارها في النقاط التالية: أولاً: عناية الغلاة المعاصرين بالتدوين والتأليف في تفاصيل منهجهم، والاستدلال عليه، والرد على المخالفين، بقائمة طويلة من المؤلفات والمنشورات، التي لم تتوقف عند الكتب فحسب، بل تعددت إلى المقالات، والمطويات، والفيديوهات، والمقاطع الصوتية، والمنشورات القصيرة والطويلة في المواقع الإلكترونية المختلفة، وترجمة هذه المكتبة الضخمة إلى عدد من اللغات، وإنشاء مؤسسات إعلامية متخصصة لذلك.

حتى وصل بهم الأمر إلى نشر معلوماتهم وخبراتهم العسكرية، والأمنية، وتفاصيل مشروعهم الفكري والسياسي ليستفيد منه أتباعهم والمقربون منهم للقضاء على صعوبة التواصل بسبب الظروف الأمنية أو تباعد البلدان.

ثم إنَّ العديد من رؤوسهم ومشايخهم قد خاض في العديد من العلوم الأخرى تعلماً وتعليماً، ونشر دروسه على مواقع الانترنت، وتصدى للموضوعات الفكرية السائدة في المجتمع<sup>(22)</sup>.

وقد أدى هذا (السيلان المعرفي) إلى:

1- تسرب العديد من منتجاتهم وأفكارهم إلى عامة الناس، وسهولة الانخداع والتأثر بها، مع ما في هذه المنتجات من مئات الشبه التفصيلية والجزئية التي تحتاج لجهد علمي كبير في الرد عليها.

من ناحية أخرى تيسر عملية نقد فكرهم والتصدي لمشروعهم لتوفر المادة العلمية لذلك.

2- سهولة تربية الأتباع والمؤيدين في مناطق متباعدة جغرافياً، وغير معروفة الحجم والعدد، والخروج من أسر التلقين المباشر والتعليم بالمشاهدة.

3- تطبيع مسألة وجود فكرهم في المجتمع، وجعله جزءاً من مكوناته العلمية<sup>(23)</sup>، وخاصة مع خطأ بعض الدعاة أو المربين في تقديم هؤلاء الغلاة في عدد من الموضوعات التي يُزعم أنه ليس فيها غلو أو انحراف<sup>(24)</sup>.

---

(22) كانغراط عدد من رؤوسهم في دروس في أصول الفقه، والتاريخ، والأدب! بينما تحدث آخرون في مسائل التربية والرد على الإلحاد، وغير ذلك.

(23) وقد وصل الأمر إلى درجة انتشار كتبهم ومؤلفاتهم في العديد من مواقع الانترنت أو محركات البحث العلمية الموثوقة؛ جهلاً من القائمين عليها بحقيقة هذه المؤلفات.

(24) مما يحثه أهل العلم مسألة (التلقي عن المبتدعة)، ووضعوا لها شروطاً وضوابط، والتي من أهمها:

1- أن يكون هذا المبتدع من أهل العلم في المسألة التي يُعلمها.

2- الأمن من تأثر المتعلمين بهذه المبتدعة وشبهه.

وجميع هذا يؤدي إلى زيادة انتشار فكرهم وشبههم، والفتنة بها. ثانياً: التأثير بالعديد من المذاهب الأخرى، أو التيارات الفكرية والأخذ عنها، ثم إلباسها اللبوس الشرعي، والاستدلال عليها كما لو أنها من صميم الفكر الإسلامي. وقد ظهر هذا جلياً في:

1- التأثير بالنموذج الشيعي في كيفية الوصول للحكم، وبناء مشروع قيام الدولة الإسلامية من خلال الثورة على الأنظمة والحكومات القائمة على نظرية قلب المجتمع، كما ظهر ذلك جلياً في مشروع (إدارة التوحش) (25).

2- التأثير ببعض النماذج الأجنبية في طرق القتال:

أ- الذئاب المنفردة: والتي تعني قيام شخص واحد -غالبًا- مدرب تدريباً جيداً بعمليات إرهابية هجومية على أهداف محددة، دون أن يكون له تنظيم محدد في كثير من الأحيان. وهي طريقة إرهابية ظهرت قديماً في بعض المجتمعات، ثم تبنتها التنظيمات المتطرفة اليمينية واليسارية في العصر الحديث ضد المجتمعات الغربية، وأثارت موجات كبيرة من الرعب والفرع؛ حيث كانت أهدافها اجتماعية مدنية في أغلبها (26).

وقد تبناها تنظيم "القاعدة" وحث عليها منظروه كثيراً، ثم تلقفتها "داعش" زعمًا أن فيها نكاية بالعدو (27).

وقد ألبس منظروا هذه الجماعات اللبوس الشرعي فزعموا أنها من عمليات التتريس الجائزة شرعاً (28).

ب- العمليات "الانتحارية" (29):

---

وبالنظر في أحوال هؤلاء يتبين: أنهم ليسوا أهل علم أو تميز في هذه العلوم، وأن أكثر من يستمع لهم هم من عامة الناس الذين لا يعلمون حقيقة أمرهم، بل كثيراً ما ينخدعون بهم، ويتأثرون ببقية كلامهم وفتاواهم في أحوال أخرى. فشرط الجواز منتفية عنهم.

ينظر: ضوابط التعامل مع رواية المبتدع قبولاً ورداً، خالد ذويبي، مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، العدد (11)، ص (262).

(25) ينظر: تصور الغلاة لمشروع الدولة في الإسلام، ص (225).

(26) ينظر: الخرافات العشر حول الذئاب المنفردة، د. سعود الشرفات، مركز شرفات للدراسات والبحوث، بتاريخ 30-12-2018م.

و: ما سر تصاعد عمليات "الذئب المنفرد" مؤخراً في الغرب؟ د. ليلي حمدان، مركز تبيان، جزء 1-2، بتاريخ 6-8-2016م.

(27) وهي موجودة في مختلف منتجات تنظيم "القاعدة" المرئية والمكتوبة، وكلمات قادة تنظيم "الدولة الإسلامية" ثم تنظيم "داعش"، وقد وصل الأمر بالعدناني أن يجعل مجرد البصق في وجه الكافر من أنواع الجهاد عند العجز عن القتل أو الحرق أو الإيذاء! ينظر كلمة "إن ربك لبالمرصاد".

(28) ينظر لعرض هذه الشبهة والرد عليها: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، ص (104-107 و173).

(29) هناك جدل قائم في التفريق بين العمليات الانتحارية والاستشهادية من حيث التعريف والحكم.

فالعمليات الانتحارية غالباً ما تطلق على العمليات التي يقوم بها الأشخاص بقتل أنفسهم للتخلص من موقف معين، كالتخلص من الأسر، أو السجن، أو التعذيب، أو حماية أسرار معينة.

فقد عرفت هذه العمليات في التاريخ، حيث إن من أوائل من نُقلت عنه "شمشون" اليهودي الذي هدم المعبد على أعدائه وأطلق عبارته الشهيرة "علي وعلى أعدائي"، كما ظهرت تلك العمليات في بعض معارك "فرسان الهيكل" أثناء الحملة الصليبية على بلدان العالم الإسلامي، واستخدمت في الحربين العالمية الأولى والثانية في الحروب الأهلية الإسبانية، ومقاومة الفيتناميين للاحتلال الفرنسي، ثم كان أشهر من استخدمها اليابانيون ضد الجيش الأمريكي بما عرف بـ "الكاميكازي"<sup>(30)</sup>.

ثم ظهرت عند المجاهدين في فلسطين في مقاومة الاحتلال اليهودي الغاصب في حقبة من حقب الجهاد، وقد أصدر عدد من أهل العلم فيها فتاوى بالإباحة بشروط معينة وضوابط محددة، كحصرها في قتال المحتلين الغاصبين، وفي حالات تعذر الوصول للأهداف إلا بتلك العمليات<sup>(31)</sup>، ثم توقفت الفتوى بها مؤخرًا لاختلاف الظروف والأحوال.

فكان أن تلقفتها جماعات الغلاة وجعلتها مبدأً أساسياً من مبادئ القتال، وأسرفت في استعمالها بسبب ودون سبب، وضد أهداف غير ذات قيمة حقيقية<sup>(32)</sup>، كما أن استعمالها الأغلب والأكثر كان ضد أهداف "المرتدين" وهم أكثر ضحاياها<sup>(33)</sup>.

### 3- التأثير بالفكر الشيعي في عدد من الأمور:

أ- الشعور بالمظلومية وادعاؤها، وكثرة ترديدها والتغني بها، بما يشابه لطميات الشيعة، كشعارات (لك الله أيتها القاعدة)، (لك الله أيتها الدولة المظلومة)، وتفصيل الحديث عن التضحيات والدماء والأشلاء والضحايا، وذلك لاستثارة العواطف والدفع باتجاه مشروعهم أكثر

---

بينما تطلق العمليات الاستشهادية على العمليات الهجومية التي يقوم بها المجاهد ضد أهداف معينة، مع التيقن أو غلبة الظن أنّها تُنجز في العدو، وأنها ستؤدي على موته.

وقد يطلق أحد المصطلحين على الآخر في مواضع عديدة، كإطلاق الانتحارية على الاستشهادية عند من لا يرى جوازها، أو بالنظر لغلبة الظن في موت منفذها، كما يطلق عليهما مصطلح العمليات الفدائية.

(30) ينظر: الجذور التاريخية لظاهرة المقاتل الانتحاري، علاء اللامي، جريدة الأخبار، بتاريخ 18-3-2014م.

(31) ينظر على سبيل المثال: العمليات الاستشهادية.. بين الإباحة والحظر، د. حسن فوزي، المنشور على موقع الشيخ القرضاوي.

وحكم العمليات الاستشهادية، للشيخ سلمان العودة.

(32) ومن الشواهد على ذلك: أن أحد رؤوس الغلو عصام البرقوقي (أبو محمد المقدسي) قد وجه رسالة مشهورة لقائد القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي ينتقد فيها الإكثار من هذه العمليات، ويوضح أنّها استثناء وليس الأصل، كما ينتقد فيها كثرة ضحاياها من المدنيين، وضرب الكنائس ومساجد الشيعة بها.

(33) والمتابع لسجلات أعداد المسجلين في سجلات "العمليات الاستشهادية" لتنظيمي القاعدة وداعش في العراق وسورية، والصومال، واليمن، وأفغانستان، وغيرها، وأعداد تلك العمليات، ونتائجها يدرك عبثية أكثر هذه العمليات، وعد توفر الشروط عند المجيزين لها، والتي ذهب ضحيتها آلاف الشباب "الاستشهاديين"، ولم يسلم منها فصيل من فصائل المقاومة، ولم تفرق بين مسجد، ولا مستشفى، ولا مؤسسة تعليمية، أو ثكنة عسكرية.

لثلا تضيع هذه التضحيات سدى كما يزعمون، ومحاولة التخفيف من آثار هذه النكبات على المجتمع بالحديث عن استعذاب العذاب والجراح.

وتضمن هذه المظلوميات في الأناشيد والإصدارات المرئية والمسموعة واستهداف الشباب بها، فكان لها أثر عميق في شحن النفوس ضد المخالفين، وهو ما تجلى في الاستهتار بالدماء في التفجيرات العشوائية، والتفنن في صور القتل والإعدام بدعوى الانتقام، كما يظهر من تصرفات القوات والمليشيات الشيعية في أهل السنة.

ب- ظهور مبدأ التَّقِيَّةِ والباطنية:

بسبب الظروف المحيطة بهذه الجماعات، ورغبتها في التخفي وحماية نفسها فقد اعتمدت مبدأ السرية في جميع أمورها، بدءًا من إخفاء شخصية قياداتها والأشخاص المنضمين لها، أو المتعاملين معها حتى على أتباع الجماعات أنفسهم، مرورًا بإخفاء حقيقة مشروعها عن المنضمين لصفوفها وعامة الناس.

ومع مرور الزمن تحوّلت هذه السرية في التعامل مع الموافقين والمخالفين من مجرد وسيلة إلى هدفٍ في حد ذاتها، ثم أثرت في التكوين الفكري لهذه الجماعات؛ إذ أصبحت تضيف نوعًا من الهيبة والمكانة لعناصر هذه الجماعات، ثم أصبح إخفاء الوجه بالقناع أو اللثام يعطي تميزًا وتفوقًا لمن يلبسه عن بقية الناس، وهو ما يتوافق مع نفسية الغلاة في التكبر وتعظيم النفس وازدراء الخلق، فظهر الحرص على ارتدائه حتى ولو انتفت الحاجة الفعلية إليه.

3- انتشار الكذب أسلوبًا ومنهجًا للتعامل:

عُرف عن الخوارج تاريخيًا الصدق في الحديث وعدم الكذب عمومًا؛ وذلك لأن الكذب كبيرة من كبائر الذنوب، التي يُكفّر بها الخوارج، فحكم الكاذب عندهم الكفر، مما أعطى نوعًا من "الطمأنينة" و"الأمان" من هذا الجانب، وقبل عدد من أهل العلم الرواية عن الخوارج بسبب ذلك.

لكن السرية والتقية السابق ذكرها أدت إلى ظهور الكذب باسم المصلحة، ثم توسّعوا فيه جدًا وظهر لأول مرة في صفوف المنتسبين لأهل السنة بما لم يظهر في فرقه سابقًا مضاهاة لتقية الرافضة<sup>(34)</sup>.

(34) كما مثلت هذه السرية وطريقة التعامل بما أفضل وسيلة للدول وأنظمة الاستخبارات إلى غرس عملاتهم في تلك الجماعات، والتأثير فيها. ينظر: تصور الغلاة لمشروع الدولة في الإسلام، ص (223).

وهذا التأثير يؤدي إلى فتح الباب على مصراعيه للتأثر بالفرق الأخرى، والأخذ منها، مما يعني تطعيم الفكر الخارجي بالكثير من الأفكار التي لا تعد ضمن السياق المعتاد تاريخياً لأفكار الغلاة، مما يعني دخول هذا الفكر في تحولات كبيرة، وربما وجود فرق متعددة للخوارج تميل كل منها لفرقة أخرى بحسب تأثيرها بها.

ثالثاً: تقديس الزعماء والقادة.

لم يُعرف الخوارج في التاريخ بالتعامل مع رموزهم وقادتهم بالغلو في التقديس، مع أنهم عرفوا بالثناء عليهم، والرفع من مكانتهم، وإنما حصل هذا التقديس عند الغلاة من جهتين: الأولى: ما عرفوا به من تعظيم النفس والمنهج، واحتقار غيرهم، كما أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدَّأِبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبُهُمْ نَفْسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)<sup>(35)</sup>.

فإذا اجتمع جهلهم بالدين، مع حماسهم غير المنضبط، وصغر سنّ معظمهم، أوصل ذلك للغرور والكبر والتعالي على عباد الله، والإعجاب بالنفس والعمل، وأكثروا من التّفاخر بما قدّموه وما فعلوه، ومن تزكية منهجهم وأفعالهم، والثناء على أنفسهم.

الثانية: أنهم لما أسقطوا أهل العلم ورؤوس الناس ووجهاءهم، وقدموا للناس رؤوساً غير معروفة بالعلم والمكانة؛ لصغر سنّها وعدم شهرتها، ورأوا كلام أهل السنة فيهم، أرادوا الرد على طعون أهل السنة بتعظيم مكانة قاداتهم، فبالغوا بالثناء عليهم لإظهار "فضلهم وعلمهم"، كما أرادوا إقناع أتباعهم ومن يستهدفونهم من عامة الناس بصحة منهجهم ووجود علماء كبار، وقادة عظماء بينهم، فعمدوا إلى المبالغة في كيل المديح والثناء لهم بما لم يكن معروفاً عند الخوارج الأولين، ولا المنتسبين لأهل السنة، بخلاف ما هو موجود عند الفرق المنحرفة التي تغلو في المديح وتقديس القادة والزعماء.

وبتبع أقوال هذه الجماعات في قاداتها، ومشايخها، يتضح كم التقديس الهائل، والأوصاف الضخمة التي يطلقونها عليهم<sup>(36)</sup>.

رابعاً: انتشار التعلق بالمنامات، وملاحم آخر الزمان.

(35) أخرجه أحمد (289/20، برقم 12972)، ومعنى (يَدَّأِبُونَ): يلزمون العمل ويجهدون فيه.

(36) ينظر على سبيل المثال: سلسلة مقالات عن تنظيم الدولة - (5) التبعيد لله بتقبيل أقدام الولاة، للشيخ إبراهيم السكران.

ولا يتعارض منهج التقديس هذا مع منهج الإسقاط والتخوين؛ فإن من منهج الخوارج سرعة الانقلاب على الأتباع، والقادة، وتكفيرهم، واستحلال دمائهم؛ لما هم فيه من سفهٍ وطيشٍ وعاطفةٍ غير منضبطة، مع منهج تكفيري مغال.

وقد وقع نظير ذلك في التاريخ كثيراً، حتى أصبحت هذه المسألة صفةً لازمة للخوارج وجماعاتهم.

وهذا راجع لأمرين:

الأول: ادعائهم أنهم هم الطائفة المنصورة التي جاءت بها النصوص الشرعية، والشهادة لها بالنجاة والولاية من بين جميع المسلمين، مما أدى إلى تنزيل نصوص آخر الزمان في أنفسهم وجماعاتهم، وادعاء تحقق الانتصارات والفتوح على يديها.

بل إنهم زادوا على ذلك بالزعم أن المهدي سيخرج فيهم، وعملوا على صنع منبر ليؤمهم فيه<sup>(37)</sup>! وهي عقيدة لم تعرف عند الفرق المنسوبة لأهل السنة من قبل، ولعلها من التأثر بالشيعة.

الثاني: الضغط النفسي الذي يعيشه هؤلاء بسبب الحالة الأمنية الضاغطة، وكثرة ما يتعرضون له من قتلٍ واعتقال، مع شدة تعلقهم بحلم إنشاء الدولة الإسلامية، والانتصار على الأعداء، وتطبيق الشريعة، مما أدى لانتشار الاعتقاد بقرب تحقق ملاحم آخر الزمان، والتعلق بالمنامات وروايتها، وقصصهم في ذلك كثيرة.

وهي معتقدات غريبة أيضاً عن معتقد أهل السنة والجماعة.

وقد أدى هذا إلى ظهور وانتشار الأكاذيب والأساطير بينهم تحت اسم (الكرامات) وتعلقهم بها.

خامساً: ظهور مبدأ النفعية والذرائعية.

من أهم المبادئ التي قامت عليها جماعات الغلو المعاصرة ما تزعم أنه عقيدة ولاء وبراء، والذي يتضمن إعلان الكفر بكل أنظمة العالم والتبرؤ منها، وإعلان الحرب عليها، وأنه بغير ذلك لا يتحقق التوحيد.

وفي سبيل ذلك حكموا على عامة أهل العلم، والجماعات الإسلامية، وعلى الفصائل التي تقاتل الأعداء والمحتلين: بالكفر والخيانة بسبب عدم متابعتهم في هذا المنهج، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

كما حكموا على من يتعاون مع هذه الأنظمة أو يتواصل معها بمثل ذلك.

وطالما أفسدوا في الأرض بسبب هذه الادعاءات، وملؤوا الدنيا ضجيجاً بعشرات الفتاوى والأبحاث في الدفاع عن (التوحيد)، والرد على (المميعين)!

لكن! عندما تعلق الأمر بالحفاظ على جماعتهم، والبقاء على الكرسي، بالإضافة إلى الرغبة في تحصيل (نصر) ما بعد هذه السنوات الطويلة من الفشل وعدم تحقيق نتيجة، والكلفة الباهظة التي دفعوها:

(37) تصور الغلاة لمشروع الدولة في الإسلام، ص (45).



لم يجدوا غضاضة من التواصل مع هؤلاء الأعداء، والجلوس معهم، والالتزام باتفاقياتهم، كما فعل تنظيم الدولة (داعش) مع النظام السوري في اتفاقياته حول النفط، وخروج مقاتليه من بعض المناطق بإشراف النظام، وكما فعل تنظيم القاعدة في اتفاقياته مع إيران، واتفاقياته مع الأنظمة في كل من اليمن وسوريا، وتنقل مقاتلي كل من التنظيمين تحت إشراف ورقابة تلك الدول<sup>(38)</sup>.

بل وصل الأمر إلى حد أخذ الأموال من تلك الدول تارة باسم الفدية، وتارة تحت شعار التجارة، ونحو ذلك.

كما أن جماعة "جبهة النصرة" التي حولت اسمها إلى "هيئة تحرير الشام" تراجعت عن العديد من الأفكار والآراء التي كانت تصدع بها، وتكفر الفصائل بها، واستبدلت رايتها براية الثورة السورية لمحاولة التمويه على حقيقتها، كما قامت بإنشاء حكومة صورية (حكومة الإنقاذ) تكون واجهة لها تحكم من خلالها لتوحي أنها بعيدة عن الساحة، وبالتالي تجنب نفسها الاستهداف.

كما التزمت فعلياً بجميع الاتفاقيات التي تقرر في الأستانة، وجلس قادتها مع قادة من النظام السوري ومن جيش الاحتلال الروسي.

وهي تفعل كل ما من شأنه أن يبقها على مقعد الحكم وكرسي الرئاسة، مهما تطلبها ذلك من أمر. -ومن أشهر الأمثلة الأخرى على ذلك:

تغير تعامل تنظيم "القاعدة" ونظرتها للشعوب الإسلامية:

فبينما كانت أدبياتها تنص على الطعن في الشعوب وإسقاطها، وعدم اعتبارها، إذا بها تفاجئ بموجة الربيع العربي الذي تخطى القاعدة وفكرها، فكان أن حاول زعمائها ركوب الموجة، فكالوا المديح للشعوب العربية، وأثنوا عليها، وأصدروا أوامرهم لقادة فروعها في الدول العربية بالرجوع للشعب، وعدم تجاوزه، وأدخلوا في خطاباتهم مصطلحات كانوا يعدونها بالأمس القريب من الكفر: كالدستور، والاختيار، ونحو ذلك.

كل ذلك لأجل البقاء في الواجهة، ومحاولة استثمار حركة الشعوب لصالحها.

سادساً: احتواؤهم من قبل الحكومات والأنظمة، والتصالح معها، وقبول التوظيف لأجلها. فمع أن أهم أفكار الخوارج وجماعات الغلاة هي تكفير الحكومات الطاغوتية، وإعلان الحرب عليها، إلا أن تلك الأنظمة وأجهزتها الاستخباراتية استطاعت الدخول إلى تلك الجماعات،

(38) مزيد من التفاصيل ينظر: شبهات تنظيم الدولة، ص (106)، وتصور الغلاة للدولة في الإسلام، ص (49).

واحتوائها، والتأثير في مجرى عملياتها، بل أفكارها، من خلال الاختراق تارة، واتباع أسلوب العصا والجزرة تارة أخرى.

ومن أشهر الأمثلة على ذلك:

1- تجنيدهم واحتوائهم والتأثير فيهم وتوجيههم عن طريق السجون، حتى أصبحت السجون المكان المفضل للدول وأنظمة الاستخبارات لتشكيل تلك الجماعات والتأثير فيها (39).

2- إحاطتهم بظروف معينة للتأثير عليهم والدفع بهم باتجاه معين لتحقيق أهداف محددة، ومن أشهر ذلك: عمليات الاغتيالات التي تطال قيادات معينة في تلك الجماعات دون قيادات أخرى (40).

2- توفير الظروف المناسبة لزيادة القوة، والتقدم على بقية المنافسين، كما حصل في حادثة استيلاء "داعش" على الموصل وما فيها من أموال وأسلحة كان لها أكبر الأثر في ظهور قوتها.

3- التعامل المباشر معهم من قبل الأنظمة وأجهزة الاستخبارات، بالاتفاقيات ونحوها (41).

ويمثل هذا الأمر خطورة كبيرة في التالي:

أ- إيجاد نوع هدنة بين هذه الأنظمة وبين هذه الحكومات، مما يعني نقل المعركة التي يفترض أن تكون قائمة بينهما إلى ميدان آخر، سيكون ضحيته دول أو جماعات إسلامية أخرى، وهو ما حدث بالفعل.

ب- استخدام هذه الجماعات في تنفيذ أهداف حكومية ودولية في ضرب التيار الإسلامي باسم محاربة الصحوة.

ج- تتمثل كذلك في قدرة الأنظمة والدول على التأثير الفكري على هذه الجماعات (42)، ولو بتخفيف العداء بينها، أو حرف بوصلة المعركة.

د- كما يتمثل الخطر الأهم في (تدجين) هذه الجماعات، وتطبيع وجودها في المجتمع تحت شعارات حرية الرأي، ونحو ذلك، مما يؤدي إلى قبولهم اجتماعيًا، وانتشار أفكارهم على المستوى

---

(39) ينظر تفاصيل ذلك: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، ص (277).

(40) ينظر: شبهات تنظيم الدولة، ص (106).

(41) ومن أشهر ذلك: تعرض العديد من قيادات "القاعدة" في سورية للاغتيال والتي عُرفت بشيء من "الاعتدال" أو كانت معارضة للجولاني، حتى أصبح هو القائد الأوحده في تلك المنظمات.

(42) ومن الأمثلة على ذلك: ما رده المنتسبون للقاعدة في فترة زمنية ما من أن النظام السعودي أخطر على المسلمين من إيران؛ مما أثر في القيام بعمليات عسكرية فيها مع تجنبها التام في إيران.

وما ظهر من أقوال وأفعال تنظيمي القاعدة والدولة (داعش) في كل من العراق، وسوريا، وأفغانستان، وغيرها من تقديم استهداف الفصائل المحاربة للأعداء على محاربة الأعداء، بحجة محاربة العدو الأقرب، والأخطر فكريًا!

العام، وبالتالي الإبقاء على جذوة الغلو والتكفير متقدمة بدلا من القضاء عليها، أو السماح بذلك<sup>(43)</sup>.

كل هذه التغيرات تؤدي إلى تصور كيفية انضمامهم أو توظيفهم للدجال، وما سواه من الدجاجة من باب أولى.

وهذه العوامل توضح أنّ القابلية عند الغلاة للتغير موجودة إلى حد ارتكاب ما كانوا يصفونه بالكفر، وأن الباب مفتوح لأيادٍ كثيرة لعبث في هذه الجماعات وأفكارها، مما يشير إلى أننا أمام تطورات أخرى عديدة قادمة.

---

(43) من المسلم به عند الأنظمة وأجهزة الاستخبارات أنها لا تهدف للقضاء على جماعات الغلاة؛ فهي التي أسهمت ابتداء في نشوئها وتقويتها ودعمها، ثم إن في بقاء تلك الجماعات منافع كبيرة لتلك الأنظمة والأجهزة، وهي لن تفرط بها بهذه السهولة.

## الغلو وجماعاته إلى أين؟

بيّنت النصوص الشرعية الصفات الأساسية التي لا يخلو منها خارجي، إلى جانب صفات ثانوية توجد في غالب أفرادهم، لكنها قد تتخلف عن بعضهم.

فالصفتان الرئيستان هما:

- قتل المسلمين واستباحة دمائهم، بسبب تكفيرهم بغير حق.

- الخروج عن أحكام الدين القويم، ومفارقة جماعة المسلمين (44).

وهاتين الصفتين وجدنا في جميع جماعات الخوارج المعاصرة، على ما بينها من تفاوت في الغلو، واختلاف وشقاق قد يصل إلى تكفير بعضها واستحلال دما بعضها البعض، واستقراء التاريخ المعاصر مع هذه الجماعات يقول إنهما ستبقيان، وإن طرأ عليهما تفرغ من محتواهما أو تأويلهما كما فعلت بقية الفرق المنحرفة (45).

فعلى سبيل المثال:

- على الرغم من الخلاف الكبير بين تنظيمي "القاعدة" الأم وتنظيم (الدولة) "داعش"، وتبادل البراءة المتبادلة، ورفض "القاعدة" للكثير من غلو "داعش"، وتكفير الأخير لها، إلا أن "القاعدة" لم تغير شيئاً من أصولها الاعتقادية والفكرية، ولم تتخل عنها.

- كما أن تنظيم "داعش" نفسه قد شهد خلافات حادة في داخل صفوفه، واتهم فريقاً فريقتاً آخر بالإرجاء وتبع أفراد بالقتل والاستهداف، واتهم الفريق الثاني الأول بالغلو، إلا أن الأصول الاعتقادية والفكرية عند كلا الفريقين واحدة.

- وعلى الرغم من التغييرات الكبيرة التي حدثت في "جبهة النصرة" متمثلة في التخلي عن كثير من مرتكزاتها وسلوكياتها في سبيل البقاء والاستمرار، وتبديل أسمائها مراراً وصولاً إلى اسم "هيئة تحرير الشام"، إلا أنّها لم تتخلّ عن أهم معالم المنهج الخارجي: "التكفير والتخوين"، حيث أصبح سلاحاً في يدها تسلّطه على من يخالفها أو ينتقدها أو تعتقد أنّه يشكّل خطراً على استمرارها، فما إن خرجت المظاهرات ضد تصرفاتها وممارساتها، حتى بدأ العديد من قيادتها في تخوين المتظاهرين واتهامهم بالخيانة، والتلويح بالتكفير.

(44) ينظر فتوى هيئة الشام الإسلامية: (هل تنظيم (الدولة الإسلامية) من الخوارج؟

والرد على الشبهة الخامسة في كتاب: شبهات تنظيم الدولة.

(45) كحال القاعدة مع تنظيم الدولة (داعش)، بل إن تنظيم الدولة في ذاته قد حدثت فيه خلافات داخلية بين تيارين أحدهما أشد غلوا من الآخر، مما أحدث فتنة كُفّر فيها التيار الأشد غلوا التيار الآخر، وتبع أفراد بالقتل والاعتقال.

ويتعلق بهاتين الصفتين الرئيسيتين صفات أخرى لازمة لهذا التكفير والخروج عن الجماعة، ومن أهمها: سوء فهم النصوص الشرعية وكلام أهل العلم، وتعظيم النفس والغرور والتالي على الآخرين، والطيش والسّفه في التصرفات.

وعلى ضوء ما سبق من التغيرات الحاصلة في فكر الغلاة، وبنظرة في مستقبل الغلو وجماعاته: - فمن المؤكد أنّ في صف الغلاة من سيتوقف أمام هذه الانحرافات ويرفضها، أو يرفض بعضها، أو لا يوافق عليها جميعاً، بل قد يقوده الأمر إلى التراجع عن بعض أفكاره التي سبق أن كان ينادي بها، وإن كان قليل العدد، محدود التأثير، أو سيقتصر نقدها لأجزاء معينة من الغلو<sup>(46)</sup>.

- الخط العام للغلويدل على أنّه أخذ في زيادة الانحراف، وأن الباب مفتوح على مصراعيه أمام دخول أفكار من فرق ومذاهب أخرى إلى الغلو، مما يؤدي إلى توقع ظهور أفكار ومعتقدات شديدة الانحراف، يبعد هذه الجماعات عن الخط التاريخي المعروف للغلاة وجماعتهم، وظهور معتقدات وأفكار جديدة لم تكن في أسلافهم، مما يؤثر على طبيعة جماعتهم وأفكارها، وقد يقربها من فرق أخرى.

وقد تظهر جماعات هجينة الفكر: لديها أساس فكر الخوارج من جهة، وأفكار من فرق أخرى.

- كما يدل على أنّ الانخداع بالغلو والغلاة، والتأقلم معهم بين عموم الناس سيزداد، ويصبح الاقتناع بانحرافهم أكثر صعوبة، وخاصة إذا غابت بعض السمات الفجة ظاهرة الانحراف عن بعض جماعاتهم أو شخصياتهم، من الجهر بالتكفير، والدخول في عمليات التفجير والقتل والمفاخرة بها.

وخاصة إن شهدت بعض جماعات الغلو كموناً أو وهوداً على المستوى العام، وقلة في عملياتها العسكرية، أو حدوث تغيير في لغة خطاب منظريها، تماشياً مع الظروف التي تمر بها، وانسجاماً مع الوضع الذي تجد نفسها فيه.

---

(46) كمراجعات سيد إمام، وجماعات الجهاد المصرية، ورفض عدد من قيادات "القاعدة" من الرعيل الأول ما طرأ على التنظيم من تغيرات شديدة الانحراف بعد تأثر ابن لادن بالطواهري، وتراجع عدد من الغلاة عن فتاوى وآراء كانوا يقولون بما بعد أن رأوا تطبيق "داعش" لها بأسوأ صورة. لكن ينبغي عدم الانخداع بمهذم المواقف والظن أنّها من تغيير المواقف أو الأفكار مجرد وقوع الاختلاف أو التراشق بالتبديع أو التكفير ما لم يصل لحد التوبة القطعية مع كافة أفكار الغلو؛ فإنّ الاختلاف بين الغلاة وكثرة انشقاق جماعاتهم أمر معهود، ولا يدل على السلامة طرف من الغلو، كما أنّ عدم قبول بعضهم ببعض الأفكار شديدة الغلو لا يدل على وسطية فكره أو سلامة معتقده.

ومن أمثلة الدراسات التي فيها ما يحتاج لإعادة تقييم بسبب تفسيرها لمواقف مفكري ومنظري جماعات الغلو:

علماء التيار الجهادي: الخطاب والدور والمستقبل، شفيق شقير، موقع الجزيرة نت، بتاريخ 5-9-2017م.

و: تحولات الخطاب السياسي "الجهادي"، عبد الغني مزوز، موقع المعهد المصري للدراسات، بتاريخ 1-1-2018م.

- كما قد يشهد مستقبل هذه الجماعات زيادة توظيف الأنظمة والاستخبارات لها، والاستثمار فيها، بحيث تصبح هذه الجماعات ومنظروها من حاشية تلك الأنظمة، أو تابعيها، بطريقة أو أخرى.

- وبالنظر إلى روايات أحاديث اجتماع الخوارج مع الدجال:

فإنها تدل دلالة واضحة على أن الخوارج سيكونون ضمن جيش الدجال، سواء كان هذا بسبب خروجه من صفوفهم فيلتفون حوله، كما دلت على ذلك روايات: (حتى يخرج الدجال في بقيتهم)، ورواية: (حتى يخرج في عراضهم الدجال)، أو على فرض أنه سيخرج فينضمون له، كما دلت على ذلك رواية: (حتى يخرج آخزهم مع المسيح الدجال) (47).

فهل قبولهم بزعامته سيكون عن قناعة بأفكاره ودعوته في ذلك الوقت؟ كالقول بألوهيته مثلاً؟ أم هل سيكون القبول به من باب تقديس وتعظيم الزعامات مهما ظهر فيها من انحراف؟ أم أنهم سيقبلون به زعيماً لما يتوفر عنده من قوات وقدرات فيستغلونها في تحقيق مآربهم؟ وخاصة أن أهل السنة هم من سيواجهون الدجال ويحاربونه؟ وهم أعداء الخوارج الأشد؟ هل يمكن أن يكون قبول الخوارج به انخداعاً بشخصه لأن العاطفة تسوقهم وتؤثر فيهم، مع سفه، وطيش، واندفاع دون تعقل؟

أم هل سيكون من المندسين أو المدسوسين في صفوفهم - كما اندس العديد من العملاء وغير المسلمين - في صفوف الخوارج المعاصرين؟

جميع هذه الاحتمالات وغيرها متوقعة وممكنة الوقوع، والنقطة الأهم: أن هذا الاجتماع بينهم هو ثمرة شدة الانحراف والتغير في عقائد جماعات الغلو، وترويج لها.

---

(47) رواه النسائي في سننه (119/7)، برقم (4103)، وابن أبي شيبه في مصنفه (599/7)، برقم (37917)، والبخاري في مسنده في مواضع منها (294/9)، برقم (3846).

## الخاتمة

انطلاقاً من حقيقة أنّ الغلو باقٍ قدرًا وكونًا كما قدره الله تعالى، وأنه في تصاعد وتزايد واقعيًا، فإنّ هذا يستدعي من القائمين والمهتمين بمحاربة الغلو المزيد من اليقظة والحذر، وعدم الاستسلام للوهم الكاذب بهزيمة الغلو، أو انحساره، أو تلاشي قوته، والاستعداد لموجات جديدة من الشُّبه التي تستوجب الرد والإجابة، كما الاستعداد لتوعية الناس بخطورة وانحراف هذا المنهج؛ فإذا كان الانخداع بهم وهم في حال الظهور وارتكاب الجرائم والموبقات شديدًا؛ فإنّ الانخداع بهم حال الهدوء والكمون أشد.

كما ينبغي على المهتمين والمختصين العكوف على رصد تطور أفكار هذه الجماعات، والعوامل المؤثرة فيها، والكشف عن توجهاتها المستقبلية، وأهدافها العامة، والاستعداد لها قبل حصولها؛ لعلها تقدم توعيةً للناس بالأخطار القادمة، وتضيء شيئًا من طريق أمامهم ليحسنوا التعامل معها...

والحمد لله رب العالمين